مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: صباح الخير

التاريخ : ٢٠٠٣/١١/٩

ذكريات مصور السادات

كنت قريباً من السادات!

حديث : همت مصطفي

ما أكثر الذين اقتربوا من الزعيم الراحل الرئيس «أنور السادات»؛ وكل الذين اقتربوا منه رأوا «صورة» من صور عديدة للسادات الزعيم والإنسان!

أحد هؤلاء الذين اقتربوا من السادات بحكم الوظيفة والعمل، كان المصور «أحمد سعد الله» الذى لازم السادات منذ عام ١٩٧٢وحتى حادث المنصة فى السادس من أكتوبر ١٩٨١.

فى هذا الحوار الإنسانى يكشف لنا عن جوانب أخرى من حياة السادات:

■ كيف كانت بدايتك مع الرئيس السادات؟

- أنا أول ما عملت كنت مصورا تحت التمرين تحت قيادة المصور الشهير «حسن دياب» المصور الخاص للرئيس «جمال عبدالناصر» وبعد وفاة الرئيس جمال عبدالناصر إعتزل حسن دياب التصوير لقربه الشديد وصداقته القوية بعبدالناصر، وفور تولى الرئيس السادات رئاسة الجمهورية أمر بنفسه بتكوين قسم خاص لتصوير الرئاسة، وكنت أنا ضمن ثلاثة مصورين بعدما رشحنى حسن دياب للتصوير.. والثلاثة هم «محمد رشوان» الذى مات فى حادث المنصة و«عبدالستار يوسف» وأنا والحقيقة أن تصوير الرئيس السادات كان أمرا فى غاية الصعوبة لماذا؟ لأنه فى الأصل صحفى وكان يرأس تحرير جريدة «الجمهورية» وله باع طويل فى الصحافة وفى فن التصوير لذلك كان يهتم جدا بالصورة الصحفية.

وقبل أن أقوم بتصويره كان لابد من أن أتابعه بالعين أولا كى أرى الرئيس جيدا بعينى.. كى أرى كيف تلتقط له الصورة لأن الصورة ليست

«زر» تدوس عليه فقط، بل لابد أن تكون الصورة معبرة عما داخل الرئيس.. خصوصا وهو رئيس جمهورية مصر فى وقت حرج، وظللت أتتبعه لمدة شهرين كاملين قبل أن ألتقط له صورة واحدة وقد لاحظت فيه عدة أشياء لم تتغير لمدة فترة رئاسته.

■ وما هى هذه الأشياء؟

- بصراحة وبدون نفاق «قوة الشخصية» فقد كان شديد القوة غير منقاد بالمرة، وكان شديد الثبات بدرجة كبيرة قليلا جدا ما يتوتر.. بل إنى لم أره مرة واحدة متوتراً طوال رفقتى له، وكان طبيعيا لأقصى درجة يحب الطبيعة وحتى فى جلسته المعتادة كان يحب الجلوس فى الطبيعة ويحب المشى دوما ساعتين كل يوم إما بصحبة زوجته أو أصدقائه المقربين «عثمان أحمد عثمان» أو «سيد مرعى». وكان دائما ما يتعامل مع كل المحيطين به على أنه كبير العائلة ودوما ينادى تعالى يا ابنى أكثر كلمة كان ينطقها، وكان شديد الاعتزاز بأهل قريته يعشق جدا الجلوس معهم فى ميت أبوالكوم، وكانوا يعاملونه على أنه كبيرهم، وليس رئيس الجمهورية وهو كذلك كان يعاملهم على هذا الأساس ويحب الجلوس بينهم ويعرفهم بالاسم وبالعائلة، كما أتذكر أنه فى أشد الظروف كان متماسكا جدا، قليلا ما يكون عصبى المزاج وهو منظم بشكل مخيف ودقيق جدا، فأنا رأيته فى حرب أكتوبر وسفره للقدس وحيفا، وكان رجلا مختلفا!!

■ كيف؟

- مثلا فى حرب أكتوبر كان فى

قصر الطاهرة والحرب دائرة على الميدان والعالم كله يتحدث عن الحرب وعن البطولات، وتخيلت أننى سأراه متوترا للغاية لكنى فوجئت به حيث كنت معه من السابعة صباحا إلى وقت متأخر من الليل، كان شديد الثبات والثقة، كان صحيح مرهقاً وهو ما ظهر على وجهه، لكنه كان شديد الثبات بشكل لافت للنظر، وأتذكر أنه أمر كل القيادات بالإفطار وقت الحرب.. وقال لهم أمامى أنا سألت شيخ الأزهر وقال لى: يجب الإفطار ورأيت بعينى كوسجين الزعيم الروسى فى وقت الحرب يخرج من مكتب

السادات يكلم نفسه وهى حكاية شهيرة، وصورنا هذه اللقطة.. أما عندما زار القدس لأول مرة فكانت الدنيا مقلوبة وأنا لم أسافر معه هذه السفرية بل سافرت فى الزيارة الثانية لحيفا، أما زيارة القدس فقد كان أيضا هادئا وواثقا بدرجة كبيرة - رئيس الجمهورية - وفى زيارة حيفا سبقناه بالطائرة وجاءهم بالسفينة من الإسكندرية وقوبل بشكل لن أنساه مطلقا، لم يقابل رئيس جمهورية بهذا الترحاب من قبل، كانت له شعبية جارفة فى إسرائيل نفسها رغم أنه كان صاحب قرار الحرب والفوز عليهم، أما هو فكان كما قلت لا يتغير ثقته ولا ثباته وهدوؤه رغم توتر الآخرين حوله!!

■ ما هى ذكرياتك الشخصية معه لقربك منه كل هذه الفترة؟

- قال: هو كان شديد الاعتزاز بنفسه وبأناقته وكان مريحا جدا للمصورين ويعرف ماذا يريدون دون الحديث معهم، وأتذكر واقعة شهيرة له تدل على خفة دمه، فقد كان له «جرسون» نوبى من أسوان وكان

الوحيد الذى يدخل مكتبه ليعطيه البوستة.. ومرة دخل الجرسون الذى لا أتذكر اسمه الان وكان الرئيس يتحدث فى التليفون فقال له الجرسون: لما تخلص ابقى امضى البوستة وترك البوستة على المكتب وخرج، ضحك الرئيس السادات بعد مكالمة التليفون واتصل بمدير مكتبه وقال له الراجل بيقول لى «ابقى امضى البوستة بعد ما تخلص».. وكانت إشارة لأن يفهموا الجرسون بأنه رئيس الجمهورية واستمر الرجل فى نفس عمله حتى وفاة الرئيس، وكان الرئيس يعشق أولاده ويحب الجلوس بينهم وخصوصا حفيده الوحيد وقتها شريف مرعى ابن ابنته الكبرى وكان يصطحبه دائما فى جولاته بالطائرة، وأتذكر يوم صلاة الجمعة بأنه كان ذاهبا للصلاة فى مسجد ميت أبوالكوم ومعه حفيده وطلب منهم أن يقرأ الشيخ «نعينع» القرآن.. وتعجب كل من حوله لماذا اختار الشيخ «نعينع» وكيف عرف أنه يجيد قراءة القرآن.. خصوصا أن الشيخ نعينع كان دكتورا طبيبا ضمن أطباء رئاسة الجمهورية وقليلون جدا من يعرفون أن هذا الطبيب كان يجيد قراءة القرآن وما حدث أن كان للرئيس مدلك خاص يدعى زينهم وكان من قبل مدلك الرئيس جمال عبدالناصر، وزينهم هذا كان رجلا شديد خفة الدم وكان الرئيس يحبه، وكان زينهم عندما يدلكه يقوم بإخباره كل الأسرار حوله وهو الذى قال له حكاية الشيخ نعينع، لذلك قرر الرئيس أن يسمع

صوته قبل صلاة الجمعة!

ولاحظت أيضا أن الرئيس السادات كان قوى الذاكرة بشكل مخيف يتذكر الأشخاص باسمهم، فقد كان له سائق خاص منذ أن كان ضابطا فى الجيش وفوجئنا بالرئيس ونحن فى طريقنا إلى الإسكندرية أنه يريد أن يذهب إلى دمنهور وتعجبنا كلنا، وفوجئنا بالرئيس يتجه بموكبه إلى بيت فى دمنهور هو بيت سائقه القديم ذهب للبيت وسلم عليه!!

كما كان حبه للتلقائية يصنع أشياء لا نصدقها مثلا قبل سفره الدائم بالطائرة كان يسافر الإسكندرية بالسيارة وكان يطلب أن يجلس فى إحدى الاستراحات على الطريق وخصوصا استراحة فى كفر الزيات ليشرب فيها الشاى وسط الناس وكان من حوله يسألونه عن السبب يقول: رواج لصاحب الكافيتريا عندما أشرب الشاى عنده كل الناس تريد شرب الشاى عنده وسيستفيد!!

كما أتذكر عندما كان يقوم بأحد اللقاءات مع السيدة «همت مصطفى» كان الميعاد فى الحادية عشرة صباحا، وتم اللقاء فى الرابعة عصرا وكان السبب أنه قال لهمت مصطفى أنا مش عاوز أكرر نفسى يا همت ويتركها ويتمشى، ثم يطلع لبيته لمدة ساعة كاملة حتى وجد الجديد الذى يريد أن يقوله وكان يجلس قبل التصوير لمراجعة كل شىء فى الحوار وقد التقطت له صورة فى هذا الحوار - إحدى الصور المنشورة بالموضوع - وتم اللقاء فى الرابعة عصرا واستمر لمدة ساعة كاملة على ما أتذكر والسبب

الوحيد لهذا التأخير هو حبه للجديد دائما!

■ لاشك أن القرب من رئيس الجمهورية له مخاطر ومواقف حرجة فهل تتذكر شيئا من هذه المواقف؟

- قال: الحقيقة أن الرئيس السادات كان مريحا جدا للمصورين، وكان حريصا جدا على راحتهم ويخصص لهم طائرة خاصة لو تعذر ركوبنا معه فى طائرته وكان لابد أن يطمئن بنفسه على طعامهم وشرابهم لراحتهم.. وأتذكر موقفا كان مع السيدة جيهان السادات وكانوا فى زيارة الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت الزيارة لبيت «نيكسون» بعد تركه للرئاسة ودخلت بيت نيكسون لأصوره، وكانت الدنيا ممطرة ونزل المطر على فلاش الكاميرا ودخلنا البيت أنا المصور الوحيد وباقى مصورى العالم يقفون خارج البيت وكان بيتا بسيطا وفوجئت بالرئيس نيكسون يقول لى ماذا تريد منى كى تلتقط لى الصورة؟ واحترت لهذا الأمر فقد كان جهور الصوت قوى الشخصية.. وقلت له حول المدفأة، وعند التصوير لم يلتقط الفلاش الصورة فشعرت بالحرج الشديد.. وجدت السيدة «جيهان» تقول لى: فيه إيه يا أحمد الكاميرا بايظة.. والحمد لله أن الفلاش لقط فى الصورة الثانية بعد ما نظفته من المطر وذهب نيكسون بعدها ليحضر كتابا من مكتبته وعندما نزل السلم ذهبت لأصوره فرفض بشدة وقال No.. No.. No ولم ألتقط له الصورة!!

■ ماذا كان يحب الرئيس السادات وماذا كان يكره؟

- يحب الطبيعة جدا، دائما ما يجلس فى الهواء الطلق ويكره القاهرة والأماكن المغلقة.. يعشق بلدته بجنون فقد تبرع بقيمة جائزة نوبل لأهل قريته كى يبنوا لهم خزانات تعمل بالطاقة الشمسية وكان يكره الكاذبين حوله ويعرفهم بصورة سريعة جدا.. وكان يعشق الصحافة وحرية الصحافة كما كنت أرى بعينى، كما كان يحب أصدقاءه عثمان أحمد عثمان وأنيس منصور الذى كان يقابله كل ثلاثاء، وكذلك موسى صبرى ويعشق فريد الأطرش وكان دوما ما يدندن بأغانيه!!

■ من خلال عملك ماذا كان يتطلب فى مصور الرئيس!

- الأمانة الشديدة أولا لأنه يرى أدق التفاصيل تحدث أمامه فى الكواليس، وهناك أشياء للنشر وأخرى لغير النشر.. أنت ترى جزءا من تاريخ بلادك يصنع أمامك، كما يتطلب دقة المواعيد لأنه لابد أن تكون موجودا فى ميعادك لأن الرئيس لن ينتظر مصورا حتى يأتى كما أنه لا يمكن أن يمشى بغير مصور، كما يتطلب «عقل صاحى وعيون مفتحة وموهبة» لأنك ستلتقط أحاسيس ومشاعر داخل رئيس الجمهورية لن تتكرر كثيرا ■■

وانتهى الحوار معه حيث يعمل الآن بجريدة مايو.

ولايزال يحمل الكثير من الذكريات.

طارق رضوان

نانا أصغر بناته فى استقباله على باب البيت

على اليخت فى أسوان، السادات وابنته الكبرى نهى وزوجها حسن مرعى وصديقه

الحوار الذى امتد لخمس ساعات

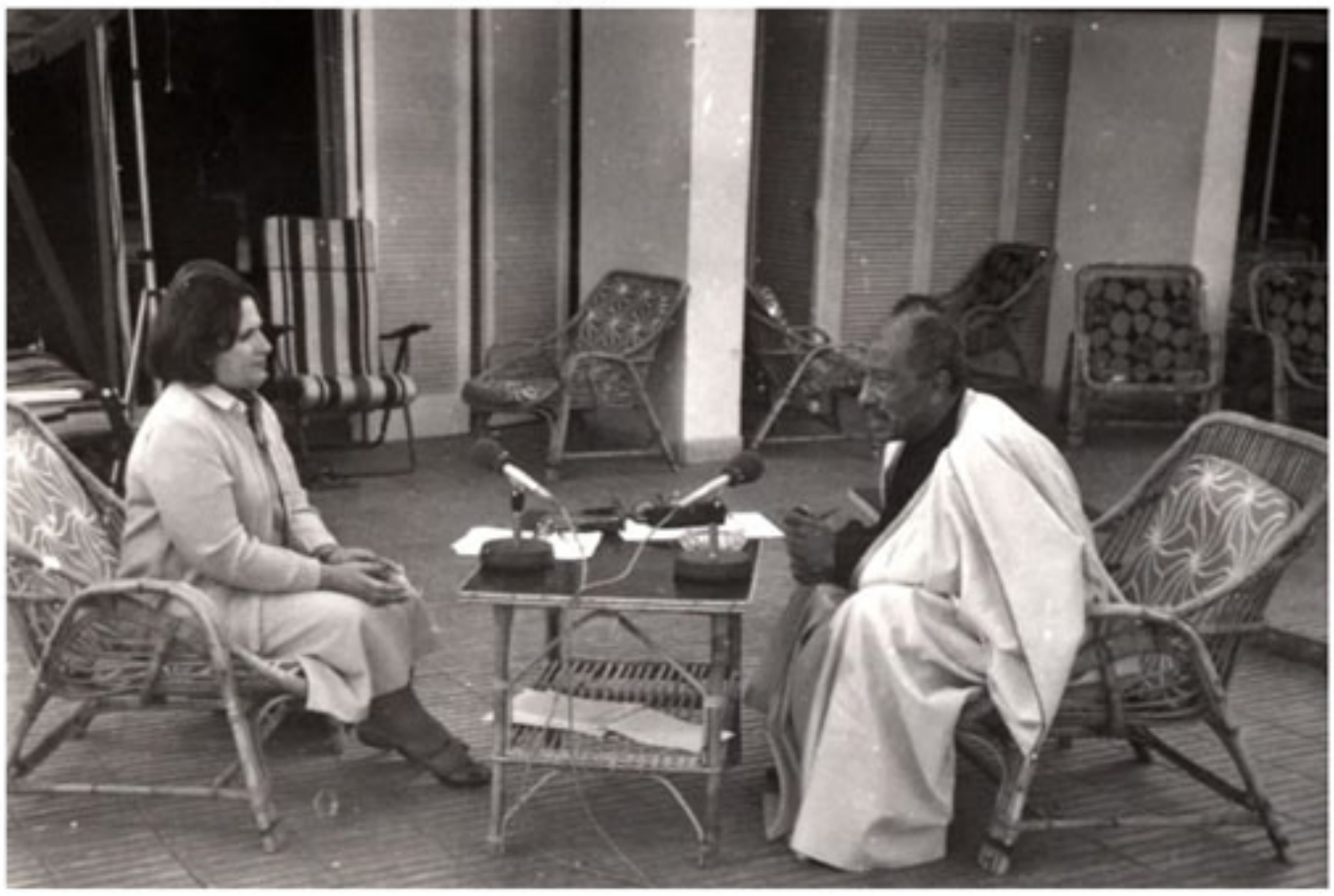

حوار همت مصطفى والبحث عن جديد

صلاة الجمعة فى مسجد ميت ابو الكوم

بجواره حفيده شريف حسن مرعي

الحفيد والرئيس داخل نظارة

كبير العائلة يعشق الحياة وسط فلاحى ميت أبو الكوم